الاختيار اللغوي والتحول

دكتور محمد علي الخولي
جامعة الملك سعود/الرياض

يهدف هذا البحث إلى الاجابة عن الأسئلة الآتية :

1 ــ ما هو الاختيار اللغوي ؟
2 ــ ما هي العوامل التي تؤثر في الاختيار اللغوي ؟
3 ــ ما هو التحول اللغوي ؟. وما أنواعه ونظامه ؟
4 ــ ما هي أهداف التحول اللغوي ؟

تحديد بعض المصطلحات :

ترد في هذا البحث بعض المصطلحات التي يجدر تعريفها :

1 ــ ثنائي اللغة : شخص يعرف لغتين.
2 ــ أحادي اللغة : شخص يعرف لغة واحدة فقط.
3 ــ ل 1 : اللغة الأولى.
4 ــ ل 2 : اللغة الثانية.

اختيار اللغة :

إذا كان الفرد ثنائي اللغة bilingual، فعليه عندما يتكلم أن يختار أية لغة يستخدم. وهذا الاختيار يتوقف على عدة عوامل. فإذا كان المستمع أحادي اللغة monolingual، فعلى المتكلم ثنائي اللغة أن يختار اللغة التي يعرفها المستمع، ولامفر له من ذلك لضمان حدوث اتصال وتفاهم. وهناك عامل طبيعة الموضوع موضع الاتصال : هل موضوع المحادثة عمل أم تسلية أم رياضة أم علم ؟ وهناك عامل إطار المحادثة : هل هو مائدة الطعام أم حفلة أم قاعة محاضرات ؟ وهناك عامل وظيفة الاتصال : هل هي طلب أم دعاء أم استفهام ... إلخ ؟

تتفاعل العوامل السابقة معا في كل حالة على حدة. وحسب نتيجة هذا التفاعل يقرر المتكلم اختيار ل 1 أو ل 2 في موقف ما. وفي الواقع إن عملية اختيار اللغة تشبه عملية اختيار يقوم بها الشخص أحادي اللغة. فالأحادي اللغة حين يتكلم يقوم بعملية اختيار ضمن لغته. إنه يختار الأسلوب

الذي يناسب الموقف الذي هو فيه. وقديما قيل بحق «لكل مقام مقال». وقيل أيضا «مناسبة المقال لمقتضى الحال». وهاتان العبارتان رغم عموميتهما يعنيان بالضبط مانحن بصدده الآن : أن يناسب الكلام المقام والحال.

ولنفرض مثلا أن شخصا عطشان يريد أن يطلب ماء. فهو أمام عدة خيارات لغوية ضمن لغته الوحيدة التي يعرفها. هذا الشخص الأحادي اللغة قد يقول إحدى العبارات الآتية :

1 ــ أريد ماء، من فضلك.
2 ــ أريد ماء.
3 ــ ماء.
4 ــ أنا عطشان.
5 ــ عطشان.
6 ــ أعطني ماء.
7 ــ إن الحر يثير العطش.
8 ــ هل يمكن أن أشرب ؟
9 ــ أتسمح لي بشربة ماء ؟

وهناك عبارات أخرى كثيرة تؤدي كلها المعنى ذاته وهو المطالبة بالماء. ولكن ما الذي يجعل المتكلم يختار واحدة من هذه العبارات دون سواها في مقام معين ؟ طبعا هناك عدة عوامل، كما ذكرنا. ولاشك أن أهم هذه العوامل طبيعة العلاقة بين المتكلم والمستمع : هل هو والد يتكلم إلى ابنه ؟ أم صديق إلى صديقه ؟ أم أم إلى ابنتها ؟ أم ولد إلى والده ؟ أم رجل إلى خادمه ؟ أم رجل إلى زوجته ؟ أم مريض إلى ممرضته ؟ كما أن سن المتكلم أمر هام : هل هو طفل أم بالغ ؟ شاب أم كهل ؟

هذه العوامل التي تؤثر في اختيار الشخص أحادي اللغة للأسلوب الذي يتكلم به لها مايماثلها تماما من العوامل التي تؤثر في اختيار الشخص ثنائي اللغة ليقرر أية لغة يستخدم. وهكذا نرى أن اختيار الأسلوب style choice لدى الشخص أحادي اللغة يوازي اختيار اللغة language choice لدى الشخص ثنائي اللغة. كلا الشخصين يقوم بعملية اختيار، وكلاهما يختار حسب المقام ومقتضى الحال، كما قال أجدادنا الأوائل من علماء اللغة والبلاغة.

وليس هذا فقط، فالشخص أحادي اللغة لايقوم باختيار الأسلوب فقط، إنه يختار اللهجة أيضا. فمن المعروف أن أحادي اللغة يكون عادة ثنائي اللهجة أو متعدد اللهجات : أي أنه يعرف أكثر من لهجة واحدة للغته الوحيدة. فقد يعرف عدة لهجات محلية، وقد يعرف لهجة فصيحة ولهجة محلية. وهو حين يتكلم يقوم بعملية اختيار لهجة من بين اللهجات التي يعرفها. ويتم اختياره حسب المقام. وفي الواقع، أفضل كلمة المقام لتعني situation لأنني أريد تخصيص كلمة موقف لتدل على attitude. وهكذا فإن اختيار اللهجة لدى أحادي اللغة يوازي اختيار اللغة لدى ثنائي اللغة. بل إن أحادي اللغة الذي يختار لهجة ماهو في الواقع ثنائي اللهجة. ولهذا فإن اختيار ثنائي اللهجة للهجة مافي مقام مايوازي اختيار ثنائي اللغة للغة مافي مقام ما.

عملية الاختيار اللغوي :

وإذا دققنا أكثر، فإننا نلاحظ أن ثنائي اللغة قد يقوم بعدة اختيارات معقدة تسير على النحو الآتي :

1 ــ هل المستمع أحادي اللغة أم ثنائي اللغة ؟
2 ــ إذا كان المستمع أحادي اللغة، فما هي اللغة التي يعرفها ؟
3 ــ إذا كان المستمع ثنائي اللغة، فما هي ل 1 ول 2 لديه ؟
4 ــ إذا كان المستمع يتكلم ل 1 فقط، فما هي اللهجة في ل 1 التي يفضلها أو يعرفها ؟
5 ــ إذا كان المستمع يتكلم ل 2 فقط، فما هي

اللهجة في ل 2 المفضلة لديه أو التي يعرفها ؟

6 — إذا كان المستمع ثنائي اللغة، فما هي اللغة التي يفضلها أو التي هو أقدر فيها ؟

7 — إذا كان المستمع يفضل ل 1 أو ل 2، فأية لهجة منها يفضل أو يعرف ؟

8 — إذا كان المستمع يفضل ل 1 وكان المتكلم يفضل ل 2، فماذا سيفعل المتكلم ؟ وماذا سيفعل المستمع ؟

وهكذا نرى أن الاختيار اللغوي عملية معقدة تدخل فيها عوامل متشابكة. ولهذا تنشأ حالة التحول اللغوي : بعد اتخاذ القرار لاستعمال ل 1 مثلا وبعد بدء الحديث بها، يتحول المتكلم عن قراره ويستخدم ل 2 لمدة دقيقة مثلا، ثم يعود إلى ل 1. طبعا هناك عوامل ودوافع تحكم عملية التحول. وسنعالج موضوع التحول في فقرات تالية من هذا البحث.

أمثلة على الاختيار اللغوي :

لقد تمت دراسة عدة حالات لأسر ثنائية اللغة. وتمت متابعة الاختيارات اللغوية لهذه الأسر. وكانت النتيجة طريفة حقا ومعقدة أيضا. وهذه بعض الأمثلة من تلك الدراسات (المرجع 3 : ص ص 133 — 135).

الدراسة الأولى كانت لأسر أمريكية أصلها من بورتوريكو أجراها فشمان Fishman وزميلاه. ولقد دلت الدراسة على مايلي :

1 — الاسبانية يغلب استعمالها في البيت.

2 — يتفاهم الوالدان مع أبنائهم بالاسبانية، ولكن الواجبات المدرسية تبحث بالاسبانية والانجليزية.

3 — الأطفال يستخدمون الاسبانية مع الأجداد في البيت، واللغتين مع والديهم، والانجليزية فيما بينهم.

4 — المزاح في البيت بالاسبانية.

5 — الاسبانية في الحوانيت التي يملكها ذوو أصل بورتوريكي والانجليزية في الحوانيت التي يديرها أمريكيون.

6 — في الشارع، كبار السن يتكلمون الاسبانية واليافعون يتكلمون الانجليزية.

7 — في المدرسة تستخدم اللغتان في التعليم.

8 — في الأعمال الرسمية، يستخدمون الانجليزية.

9 — في الطقوس الكنسية، 55% من المسيحيين يستخدمون الاسبانية، و21 % الانجليزية، و24 % كلتا اللغتين.

وهناك دراسة ثانية لمهاجرين ألمان في البرازيل أجراها هاي Heye. ولقد دلت الدراسة على الظواهر الآتية :

1 — الألمانية في الكنيسة، والبرتغالية في النوادي، وكلاهما في العمل والتجارة.

2 — في البيت، الألمانية على المائدة وللصلاة وتنويم الأطفال وتأنيبهم. والبرتغالية للغناء ورواية القصص.

3 — الألمانية أشيع داخل الأسرة ومع الجيران. وكلتا اللغتين مع الأصدقاء. والبرتغالية مع السلطة والغرباء.

وفي أريزونا قام باربر Barber بدراسة لأمريكيين من أصل هندي (من [illegible]ود الحمر). وتبينت الظواهر الآتية :

1 — في البيت [illegible]ية مع المسنين، والاسبانية مع الأصدقاء، وكلاهما مع الأنداد من السن ذاته.

2 — الياقوية للطقوس والاحتفالات. والياقوية أو الاسبانية في المزارع (حسب لغة العمال الآخرين). والانجليزية مع صاحب العمل.

3 — عند الذهاب إلى المدن، الانجليزية والاسبانية.

4 ــ في البنوك كلتا اللغتين. وفي الحوانيت الاسبانية.

5 ــ مع الأصدقاء، الاسبانية والياقوية. وإذا كان الصديق لايعرف إلا الانجليزية، فالانجليزية هي اللغة المستخدمة في هذه الحالة.

6 ــ في المحاكم الانجليزية.

وهكذا نرى أن عملية الاختيار اللغوي ليست سهلة. إنها عملية معقدة فعلا متعددة العوامل والمقامات والمتطلبات. وسندى في المبحث التالي العوامل التي تؤثر في عملية الاختيار بشيء من التفصيل.

عوامل الاختيار اللغوي :

ماهي العوامل التي تؤثر في عملية الاختيار اللغوي والتي تجعل الفرد يختار لغة مامن بين لغتين أو لغات يعرفها للتفاهم بها في مقام معين ؟ هناك عدة عوامل نذكر منها ما يلي :

1 ــ المقدرة اللغوية للمتكلم. أحيانا يختار المتكلم لغة ما لأنه أقدر فيها من سواها. فهو يختار اللغة التي يعبر فيها عن نفسه بسهولة.

2 ــ المقدرة اللغوية للمستمع. في بعض الحالات، يختار المتكلم ل 1 أو ل 2 حسب مقدرة المستمع. فهو يختار ل 1 إذا كان المستمع أقدر فيها ويختار ل 2 إذا كان المستمع أقدر فيها من ل 1. ويتدخل هذا العامل بقوة إذا كان المتكلم ذا قدرة متساوية في ل 1 ول 2.

3 ــ عادة التحادث. إذا اعتاد شخصان على التفاهم باستخدام لغة معينة فهما يستخدمانها كلما تحادثا متأثرين بحكم العادة.

4 ــ العمر. يميل الكبار إلى استخدام ل 1 ويميل الأطفال إلى استخدام ل 2، وخاصة في حالات المهاجرين إلى بلد لغته ل 2، إذ يفضل الكبار إظهار مزيد من الولاء للغة 1 ويفضل الصغار إظهار مزيد من التكيف والتقرب من ل 2، رغم أنهم جميعا (الكبار والصغار) يعرفون ل 1 ول 2 (المرجع 4 : ص 62).

5 ــ المكانة الاجتماعية. في بعض الحالات والبلدان، تفضل الطبقة الأرستقراطية لغة على أخرى. ففي كينيا يستخدم الارستقراطي السواحيلية مع الكيني الفقير والانجليزية مع ا ستقراطي مثله (المرجع 3 : ص 137).

6 ــ درجة العلاقة. في بعض الحالات، عند اللقاء لأول مرة يتم التحادث بلغة ما. وعندما تتحول العلاقة إلى صداقة حميمة يتم التحادث بلغة أخرى. هناك لغة مع الغرباء ولغة مع الأصدقاء.

7 ــ نوعية القرابة. في بعض الحالات، يختار الفرد ل 1 مع والديه ول 2 مع زوجته وأولاده. وقد يختار ل 1 مع زوجته ووالديه ول 2 مع أولاده.

8 ــ علاقة العمل. أحيانا يتم الاختيار اللغوي حسب علاقات العمل. فالرئيس يستخدم لغة ما مع مرؤوسيه وقد يستخدم لغة مع نظيره. والمرؤوسون قد يتكلمون لغة مامع رئيسهم ولكنهم يتكلمون لغة أخرى فيما بينهم.

9 ــ العلاقة العرقية. قد يستخدم أفراد أقلية عرقية ل 1 فيما بينهم ول 2 مع أفراد من خارج الأقلية.

10 ــ الضغط الاجتماعي. إذا كان مجتمع مايكره لغة ما لسبب سياسي أو تاريخي : فإن الفرد يتجنب استخدام هذه اللغة خارج البيت

ويقصر استخدامها داخل البيت هروبا من الحرج ورضوخا لضغط المجتمع الذي يعيش فيه.

العوامل العشرة السابقة تتعلق بالمتكلم أو المستمع أو العلاقة بينهما. ولكن هناك عوامل تتعلق بالمقام، منها مايلي :

11 ــ المكان. في بعض الحالات، يتحكم المكان في اختيار اللغة. وترى الشخص ثنائي اللغة يوزع لغاته بشكل تكاملي أو وظيفي على الأماكن المتنوعة التي يوجد فيها. وهذا ما يدعى الثنائية التكاملية أو الوظيفية. ويتم اختيار اللغة حسب المكان بتوزيع يقرره الفرد ذاته : هل هو في البيت أم في المدرسة أو في الشارع أم في العمل ؟ هل هو في هذا البلد أم في ذاك ؟ داخل بلده أم خارجه ؟

12 ــ مستمع طارىء. أحيانا تبدأ المحادثة بلغة ما، ثم يحضر شخص ثالث لايعرف هذه اللغة. هنا يتدخل عامل جديد يتطلب اختيار لغة يعرفها الشخص الثالث. ولذا يتم التحول إلى لغة أخرى من باب المجاملة واللياقة.

13 ــ درجة الرسمية. عندما يتكلم شخص في موقف رسمي، مثلا مع طبيب أو محام أو قاض أو مدرس، يختار لغة ما. وعندما يتكلم مع أصدقائه وأفراد أسرته يتكلم لغة أخرى. أي يختار لغة للعلاقات الرسمية ولغة للعلاقات الودية.

وهناك عوامل تؤثر في اختيار اللغة تتعلق بموضوع المحادثة :

14 ــ الموضوع : في بعض الحالات يتحكم الموضوع في اختيار اللغة. فقد يختار شخص لغة ماللحديث عن العمل أو تخصصه العلمي ويختار لغة أخرى في غير ذلك. وقد يختار شخص لغة ما للحديث عن الدين ولغة أخرى في غير ذلك. وقد يختار شخص لغة ما للشتائم مثلا. طبعا يعتمد الأمر على العادة وعلى توفر المصطلحات والمفردات اللازمة لموضوع معين في لغة معينة وعلى اللغة التي تعلم بها تخصصه وعلى اللغة التي يتكلمها أثناء العمل.

وهناك عوامل تؤثر في الاختيار اللغوي تتعلق بوظيفة المحادثة منها (المرجع 3 : ص ص 141 ــ 143) :

15 ــ رفع المكانة : أحيانا يختار شخص ما لغة ما بعينها للتحدث بها من أجل أن يرفع مكانته لدى المستمعين، وخاصة عندما تكون هذه اللغة مرموقة اجتماعيا أو علميا. هنا يتم الاختيار لتحقيق هدف هو رفع مكانة المتحدث أو تحقيق اقتراب من قلوب المستمعين عن طريق اختيار اللغة التي يحبونها.

16 ــ زيادة المسافة الاجتماعية. جاء شخص وتكلم لغة ما مع رئيسه. فرد عليه الرئيس بلغة أخرى. ما تفسير مثل هذا السلوك ؟ أراد المرؤوس استخدام ل 1 مثلا مع رئيسه وكأنه يقول لرئيسه : «أنا وأنت ننتمي إلى أصل واحد وأقلية واحدة، ولهذا أتوقع منك معاملة خاصة». فرد الرئيس عليه بلغة أخرى (ل 2) وكأنه يقول له : «أنا هنا رئيسك وأنت مرؤوسي، دعك من الأصل المشترك، فنحن هنا في عمل رسمي، والمسافة بيننا يجب أن تبقى مناسبة، فلا تقترب مني أكثر، ولا مكان هنا لمعاملة خاصة». إذا هنا الغرض من اختيار اللغة

كان الابقاء على مسافة اجتماعية بين المتكلم والمستمع أو زيادة هذه المسافة.

17 ــ الاستثناء (أي الاقصاء). مثال ذلك طبيب يتكلم مع مريض مستخدما ل 1، ثم ينظر إلى زميله أو الممرضة ويبدأ باستخدام ل 2. لماذا اختار ل 2 للحديث مع زميله ؟ ربما كان يقصد عدم إشراك المريض في المحادثة، لأنه يريد أن يتكلم عن خطورة مرض المريض فلا يريده أن يعرف مايدور من الكلام. وفي حالات أخرى، يكون المعنى قاسيا جدا، إذ قد يفهم الشخص الثالث أن اختيار لغة لايعرفها يعني أن عليه أن يترك المكان أو أنه شخص غير مرغوب فيه.

18 ــ الواسطة اللغوية. في بعض الحالات، تختار لغة ما للكلام وأخرى للكتابة. مثال ذلك بعض الهنود الحمر في أمريكا في مستوطنة نافاجو. المناقشة في الجلسات تتم بالنافاجو ومحاضر الاجتماع بالانجليزية. نص نشرة الأخبار مكتوب بالانجليزية والنشرة تذاع بالنافاجو. المحاكمات والمرافعات تتم بالنافاجو ومحاضر المحاكمة تكتب بالانجليزية (المرجع 3 : ص 142).

وهكذا نرى أن شبكة من العوامل تعمل معا في وقت واحد، ويقوم المتكلم باتخاذ القرار واختيار اللغة المناسبة بسرعة رغم تعدد العوامل، إذ تصبح لدى المتكلم خبرة في الاختيار فيستطيع اتخاذ القرار المناسب بسرعة تكاد تكون تلقائية. وكما رأينا، فهذه العوامل بعضها يتعلق بالمتكلم، وبعضها يتعلق بالمستمع، وبعضها يتعلق بالمقام، وبعضها يتعلق بالموضوع، وبعضها يتعلق بوظيفة الاتصال.

وعندما تتعارض العوامل، ماذا يحدث ؟ قد توجب بعض العوامل اختيار ل 1 ويوجب بعضها اختيار ل 2. في هذه الحالة يحدث أحد أمرين. إما أن تتغلب مجموعة من العوامل على المجموعة الأخرى، فترجح كفة اختيار ل 1 على كفة اختيار ل 2 أو كفة اختيار ل 2 على ل 1، وإما أن يختار المتكلم ل 1 ثم ل 2 معا، أي أنه يتكلم ل 1 لفترة من الزمن ثم يتكلم ل 2 ثم ل 1 وهكذا. وفي حالة الاختيار الثاني، أي تكلم ل 1 ول 2 معا، يكون المتكلم قد اختار خلط اللغتين كبديل لاختيار احداهما. ويكون أيضا قد دخل في عملية الاختيار المتكرر : أي عليه أن يختار اللغة التي يبدأ بها، ثم عليه أن يختار بين حين وآخر متى يتحول إلى اللغة الأخرى، ثم عليه أن يختار متى يعود إلى اللغة التي بدأ بها. وبعبارة أخرى، إن اختيار خلط اللغتين قد يكون أصعب من اختيار احداهما، لأن اختيار إحدى اللغتين يتم مرة واحدة، ولكن اختيار خلط اللغتين يستدعي اتخاذ قرارات متعددة لاختيار اللحظات المناسبة للتحول من لغة إلى أخرى. متى يتحول ولماذا من ل 1 إلى ل 2. ومن ل 2 إلى ل 1 ؟ هذا ما سنبحثه في المبحث التالي.

التحول اللغوي :

التحول اللغوي code-switching هو أن يتحول المتكلم من لغة إلى أخرى أثناء محادثة واحدة ومقام واحد. ويختلف التحول عن التدخل من حيث أن الأول شعوري إرادي والثاني لاشعوري لاإرادي. كما يختلفان في الطبيعة فالتحول يظهر على شكل جمل طويلة في ل 1 متبوعة بجمل طويلة في ل 2 ثم في ل 1 ثم في ل 2... إلخ. أما التدخل فيظهر على المستويات الصوتية أو النحوية أو المفرداتية أو الدلالية. وهناك اختلاف في الوضوح : فالتحول ظاهر باد للعيان، أما التدخل فقد يكون دقيقا خفيا لايكتشفه سوى الباحث المتعمق. وهناك اختلاف في الدور : فالتحول له دور وهدف، أما التدخل فلأنه غير شعوري فلا هدف له. وهناك اختلاف في

النتيجة : فالتحول كما ذكرنا قد يكون مرغوبا فيه، أما التدخل فهو تلوين غير مرغوب فيه تقوم به لغة في أخرى. وهناك اختلاف في أطراف التعامل اللغوي : فالتحول يستدعي وجود متكلم ومستمع، أما التدخل فقد يحدث في الكتابة، أي دون وجود طرف تحاوري ثان. وهناك اختلاف في الثنائية اللغوية : فالتحول يستدعي وجود متكلم يعرف ل 1 ول 2 ومستمع يعرف ل 1 ول 2 أيضا، أما التدخل فلا يستدعي أن يعرف المستمع لغتين، بل يستلزم أن يعرف المتكلم لغتين.

ويختلف التحول عن الاختيار اللغوي. فالأول نتيجة للثاني. عندما يختار المتكلم ل 1 ليتكلم بها، تبدأ المحادثة. وبين الحين والآخر يراجع المتكلم قراره : هل أستمر مع ل 1 أم أتحول إلى ل 2 ؟ إذا قرر الاستمرار مع ل 1، لا يحدث التحول. وإذا قرر العدول عن ل 1 إلى ل 2، يحدث التحول. وهكذا فالتحول والاختيار عمليتان مختلفتان ولكنهما في الوقت ذاته عمليتان مرتبطتان. فلا تحول من غير اختيار.

ويثير التحول اللغوي في نفوس أحادي اللغة ردود فعل مختلفة أكثرها سلبي. بل ويثير ردودا مماثلة لدى ثنائي اللغة الذين يكثرون من التحول. ومن هذه الردود ما يلي (المرجع 7 : ص ص 147 — 148) :

1 — التحول ناتج عن كسل المتكلم.
2 — التحول تدمير للغة 1 واللغة 2.
3 — التحول خطر على الاتصال اللغوي.
4 — التحول إهانة للمستمع أحادي اللغة.
5 — المتحول، أي الشخص الذي يحول من لغة إلى أخرى، شخص لا لغة له، إنه لالغوي nonlingual.
6 — المتحول ضعيف في اللغتين، إنه نصف لغوي semilingual.
7 — التحول يجعل اللغة (سلطة) لفظية عجيبة.

ولكن هناك من يدافع عن التحول من ثنائيي اللغة. وتأتي هذه الدفاعات على شكل التبريرات الآتية :

1 — يساعد التحول على الاتصال.
2 — يحقق أهدافا متعددة.
3 — لامفر منه في المجتمعات ثنائية اللغة.

أهداف التحول :

إذا كان التحول كما ذكرنا عملية شعورية إرادية، فإنه يخضع للسؤال التالي : ما أهدافه أو دوافعه ؟ لماذا يتحول المتكلم من لغة إلى أخرى ؟ وماذا يحقق من هذا التحول ؟ هناك أهداف عديدة للتحول تختلف من حالة إلى أخرى. من هذه الأهداف ما يلي (المرجع 3 : ص ص 152 — 157) :

1 — التأثير. هناك من يتحول ليؤثر في سامعيه. وكأنه يقول لهم : «أنظروا كم أنا طليق ماهر في ل 2 وفي ل 1، إنني أعرف لغتين بطلاقة، لاتظنوا أنني أعرف ل 1 فقط أو ل 2 فقط، أنا أعرف لغتين معرفة ممتازة».
2 — الحاجة. أحيانا يحدث التحول بنية بريئة سليمة، بقصد التوضيح لابقصد التباهي والتفاخر بمعرفة ل 2. يتكلم المرء مستخدما ل 1، وفجأة يحتاج كلمة أو مصطلحا أو جملة من ل 2، فيضطر إلى التحول إلى ل 2. وما أن تنتهي الحاجة إلى ل 2 حتى يعود إلى ل 1 ويبقى معها ما وسعه ذلك.
3 — الاستمرارية. أحيانا يحدث التحول لسبب ما. فيتحول المرء من ل 1 إلى ل 2 مثلا. ولكن بما أنه قد تحول إلى ل 2، وانتهى الأمر إلى أنه صار مع ل 2، فهناك ما

محتمل إلى الاستمرار مع ل 2، لأن الرجوع إلى ل 1 قد يشكل إعياء لدى المتكلم أو المستمع، وخاصة إذا لاحظ المتكلم أن المستمع لا يحبذ كثرة التحول.

4 ــ الاقتباس. قد يحدث التحول لأن المتكلم يريد اقتباس مثل أو بيت شعر أو قول مأثور أو حكمة من لغة أخرى. وهذا التحول، كما هو واضح، آنيّ طارىء.

5 ــ تحديد المخاطَب. قد يتحول المتكلم من لغة إلى أخرى إذا كان يتكلم إلى جماعة. ويقصد بهذا التحول توجيه الكلام إلى شخص ما في الجماعة أو مجموعة من الأشخاص باللغة التي هي لغتهم الأولى.

6 ــ الانتماء. قد يتحول شخص من ل 1 إلى ل 2 ليعطي إشارة إلى المستمع أن ل 2 هي لغتنا الأم وأنهما ينتميان إلى أصل واحد ولغة واحدة وأقلية واحدة. ولو فرضنا أن أمريكيا من أصل عربي يتكلم مع أمريكي من أصل عربي بالانجليزية. فإذا تحول أحدهما إلى العربية، فإن الاشارة الضمنية هنا قد تكون : «لاتنس أننا من أصل واحد، يا صديقي».

7 ــ انفعال معين. إذا اعتاد شخص أن يتكلم مع آخر بلغة ما، وفجأة وعلى غير العادة تحول إلى لغة أخرى، فالأغلب أن مرد هذا هو نقل إشارة الانفعال أو الغضب أو الضيق. مثال ذلك والد اعتاد أن يتكلم مع أطفاله باللغة 1، ثم تضايق منهم أو غضب، لذا تراه يتحول إلى ل 2 وكأنه يقول لهم : «انتهى المزاح، وأنا الآن أكلمكم جادا غير هازل، وأنا على وشك الغضب الشديد إذا لزم الأمر».

8 ــ السرية. يتكلم شخص مع آخر باللغة 1. وفجأة يقترب منه ويهمس في أذنه باللغة 2 أو يتحول إلى ل 2 دون همس أحيانا. وكأن التحول معناه مايلي : «اسمع، ماسأقوله لك أمر سري، وقد خصصتك به لأني أثق بك، فلا تذع الأمر».

9 ــ الاقصاء. يتكلم شخص مع جماعة مستخدما ل 1. وأثناء الحديث، أراد أن يقول شيئا لواحد من الجماعة دون سواه، أو لجزء من الجماعة دون الجزء الآخر. هنا قد يتحول إلى لغة معروفة لدى فئة وغير معروفة لدى فئة أخرى. إذاً التحول هنا الغرض منه إقصاء جماعة من المستمعين وقصر التفاهم على جماعة أخرى. وبالطبع إن هذا الاقصاء يثير حساسيات اجتماعية وهو إجراء غير مقبول في العادة، إلا أنه مع ذلك يحدث أحيانا.

10 ــ توسيع المسافة الاجتماعية. يتكلم شخص بلغة ما مع شخص آخر. ثم يفطن المتكلم أن استخدام هذه اللغة قد يعطي لدى المستمع انطباعا بأن المسافة بينهما قريبة. لذا يتحول إلى لغة ثانية وكأنه يقول لمحادثه : «أذكرك بالمسافة التي بيننا، فلا تقترب أكثر مما ينبغي، هناك حدود وهناك مسافة».

11 ــ التوكيد. قد يتحول المتكلم من ل 1 إلى ل 2 لمجرد توكيد الجملة. أي يقول المعنى الواحد بلغتين بدلا من أن يكرر الجملة ذاتها باللغة ذاتها. الغاية فقط هي لفت النظر إلى أهمية الفكرة.

أنواع التحول :

لابد من الاشارة إلى بعض أنواع التحول. فهناك التحول الانتاجي productive code-switching. وهو تحول يقوم به المتكلم أو

الكاتب. وهو تحول يقرره الفاعل اللغوي في كلامه أو كتابته. وفي كل مرة يحدث فيها تحول إنتاجي يحدث تحول من نوع آخر، ألا وهو التحول الاستقبالي receptive code-switching. وهو تحول يقوم به المستمع أو القارىء. فكلما تحول المتكلم من ل 1 إلى ل 2، كان على المستمع أن يتحول من ل 1 إلى ل 2. وكلما تحول الكاتب من ل 1 إلى ل 2 مثلا، كان على القارىء أن يتحول معه (المرجع 9 : ص ص 105 — 107).

والتحول الانتاجي نوعان : تحول كلامي وتحول كتابي. والأول أشيع من الثاني، لأن الكتابة بطبيعتها رسمية لاتحتمل خلط لغتين، كما أن موضوعاتها تكون من النوع الذي لايقبل خلط اللغتين. والتحول الاستقبالي قد يكون أصعب من التحول الانتاجي، لأن المنتج هو الذي يختار اللغة ويختار التوقيت ويختار توزيع اللغتين على المقامات والموضوعات المختلفة، في حين أن المستقبل يفاجأ بالتحول وتوقيته وموضوعه. كما أن المنتج يتحول وهو واثق من قدرته على التعبير باللغة التي يتحول إليها، أما المستقبل فما عليه إلا أن يستقبل وقد يكون قادرا على الاستيعاب أو غير قادر. كما أن المنتج يتوقع التحول قبل أن يقوم به فيستعد له، أما المستقبل فيفاجأ بالتحول وقد يستغرق وقتا قبل أن يحوّل جهازه الاستقبالي إلى اللغة الجديدة.

نظام التحول :

التحول، كما رأينا، ليس عملية خلط عشوائي للغتين. إنه عملية واعية لها أهدافها النفسية والاجتماعية والاتصالية. وإذا حدث التحول بسرعة وتلقائية، كما هو حاله غالبا، يدل على براعة لغوية مزدوجة، أي ثنائية لغوية متوازنة.

والتحول لايقع في أية نقطة على مسلسل الاتصال اللغوي. بل له أنظمته وقوانينه ومواقعه الخاصة به. فلا يقال مثلا :

1 — the ولد أخذ كتابي. لايكون التحول بين أل التعريف والاسم المعرف.

2 — my أزرق book. هذا تحول نادر وغير مقبول.

3 — ذهب to المدرسة. هذا تحول نادر وغير مقبول.

4 — weنعرف ماذا سنفعل. هذا أيضا نادر وغير مقبول.

فالتحول لايقع اعتباطيا، ولابد إذا كان التحول ضمن الجملة الواحدة من أن تناسب اللغة الطارئة اللغة الأصلية : أي إذا كان أكثر الجملة باللغة 1 وحدث تحول ضمن الجملة إلى ل 2، فلابد أن تحل ل 2 بشكل نحوي صحيح محل بديلاتها ل 1. ولهذا يرى البعض أن عملية التحول ضمن الجملة هي عملية استبدال لغة بأخرى. ولهذا يعتقد أن المتكلم يستغرق وقتا ليتحول، ولكن المستمع لايلاحظ الوقت المستغرق لأن المتكلم يتوقع التحول الذي سيقوم به ويستعد له وهو يتكلم، أي أنه يستعد للتحول إلى ل 2 وهو يتكلم ل 1 (المرجع 1 : ص ص 37 — 68).

والتحول قد يتم داخل حدود الجملة أو خارج حدودها. ويمكن أن ندعو الأول تحولا داخليا والثاني تحولا خارجيا. ففي التحول الداخلي، يتحول المتكلم من ل 1 إلى ل 2 أو من ل 1 إلى ل 2 إلى ل 1. وفي هذه الحالة، قد يكون التحول على مستوى المفردات أو شبه الجملة. وفي حالة التحول الخارجي، يتم التحول بعد انتهاء الجملة السابقة : ل 1 ثم ل 2، ثم يكرر النموذج التناوبي السابق، أو يستمر مع ل 2 ولا يعود إلى ل 1، أو يعود إلى ل 1.

ويمكن تلخيص نماذج التحول الداخلي هكذا :

(1) ل 1 + ل 2
(2) ل 1 + ل 2 + ل 1
(3) ل 1 + ل 2 + ل 1 + ل 2

في الحالة (1)، يحدث التحول مرة واحدة في الجملة الواحدة. في الحالة (2)، يحدث التحول مرتين : إلى ل 2 ثم العودة إلى ل 1. وفي الحالة (3)، يتكرر التحول ثلاث مرات : إلى ل 2 ثم إلى ل 1 ثم إلى ل 2.

أما نماذج التحول الخارجي، أي التحول خارج حدود الجملة، فيمكن تلخيصها هكذا :

(4) ل 1 + ل 2 + ـــــــــــــــ
(5) ل 1 + ل 2 + ل 1 + ـــــــــــــــ
(6) ل 1 + ل 2 + ل 1 + ل 2 + ـــــــــــــــ

في الحالة (4)، حدث التحول من ل 1 إلى ل 2 واستمرت الجمل التالية في ل 2. في الحالة (5)، حدث التحول من ل 1 إلى ل 2، ثم تحول إلى ل 1، واستمرت الجمل التالية في ل 1. وفي الحالة (6)، حدث التحول إلى ل 2، ثم إلى ل 1، ثم إلى ل 2، واستمرت الجمل متناوبة بين ل 1 وـل 2 حتى نهاية الحديث.

خاتمة :

هناك عوامل عديدة تؤثر في الاختيار اللغوي وتقرر اللغة التي يختارها الشخص الثنائي اللغة في مقام ما. وهذه العوامل تتعلق بالمتكلم أو المستمع أو المقام أو الموضوع أو وظيفة الاتصال. وإذا تنازعت العوامل وتعارضت اتجاهات تأثيرها، تغلبت في النهاية مجموعة العوامل الأقوى على المجموعة الأضعف أو قرر المتكلم خلط اللغتين معا وفق نظام تحولي.

والتحول اللغوي هو اختيار لغوي متجدد له أهدافه النفسية والاجتماعية واللغوية والاتصالية. وهو نوعان : تحول إنتاجي وآخر استقبالي. وهو يسير وفق نظام سواء أتم داخل حدود الجملة أم خارجها.

* * *

کتابخانه
بنیاد دایرة المعارف اسلامی

المراجع

1. Beardsmore, H.B. :
Bilingualism : Basic Principles. G. B.,Clevedon Tieto Ltd., 1982.
2. Dulay, H. et al. :
Language Two. N.Y : Oxford Univ. Press, 1982.
3. Grosjean, F. :
Life with Two Languages. MA. Cambridge : Harvard University Press, 1982.
4. Gumperz, J. :
Language in Social Groups. Stanford : Stanford University Press, 1971.
5. Huagen, E. :
Bilingualism in the Americas. Alabama : University of Alabama Press, 1956.
6. Hymes, D. :
Language in Culture and Society. N. Y. : Harper and Row, 1964.
7. Maititz, F. :
Living and Learning in two Languages : N.Y. : McGraw-Hill Book Co., 1975.
8. Mclaughlin, B. :
Second-Language Acquisition in Childhood. N.J. : Lawrence Erlbaum Associates, 1978.
9. Vildomec, V. :
Multilingualism. Lyden : A.W. Sythoff, 1971